النَظم والترابط وأثره في الاعجاز القرآني

أعداد

الشيخ جواد كاظم الفرطوسي

مقدمة :

أن المتتبع والمتدبر في آيات القرآن الكريم يجد اللذة والابداع في ما يسمى بالنظم والمناسبة والترابط الذي أحكم في القرآن الكريم بكل زواياه وحيثياته حتى حير العقول وكان مرتكزا لدراسة العلماء الى أن قرن بأعجاز القرآن وجانب التحدي فيه .

حيث تجدهم يركزون على مسألة النظم المخصوص وهو عينه التناسب والترابط بل الترابط هو المعنى الاعم الذي يشمل الجزئيات والكل معا حسب فهمي القاصر .

فالمفسر يحتاج الى مفاتيح ونوافذ وأبواب يدخل منها لفهم القرآن والسور والآيات والقرآن بالمجموع فضلا عن الجزئيات ، وقد نص العلماء على أن كل ما في القرآن الكريم هو توقيفي من ترتيب وتنظيم وترابط مما يجعله واضحا كالشمس رابعة النهار وجها من وجوه أعجازه وتحديه .

وقد اولى جملة من العلماء الاهتمام بموضوع التناسب والترابط والنظم بشكل جزئي أو كلي والاعم الاكثر طرحه كموضوع مهم من علوم القرآن الكريم ، ولكننا نجد **من علماء الامامية** من كتب تفسيرا كاملا وركز على الترابط والتناسب بين السور والآيات نفسها وتوقيفية النظم في القرآن الكريم بشكل كامل أمثال الشيخ محمد النهاوندي (قده) ت ١٣٧١هـ في تفسيره

(**نفحات الرحمن في تفسير القران**) وقد أبدع في بيان ذلك ، حيث قال في مقدمة تفسيره : **(واستفرغت الوسع في بيان وجه النظم بين السور والآيات)** وقال :(**وبذلت الجهد في الإسفار عن وجوه بعض النكت والأسرار)**[١] وسوف نتعرض لشي مما نص عليه في ذلك بأذن الله تبارك وتعالى ، إذ التزم على طول البيان في تفسيره بعرض الوجه والهدف والغاية من أولويات الذكر والحكمة من تقديم ما تقدم وتأخير ما تأخر عنه لإيمانه بالترابط الإلهي المقصود والكشف عن أسراره وقد قال حجتي عن ذلك: ((ما دام الترتيب الذي عليه القرآن أمراً إلهياً فهو يتضمن إذن توجيهاً إرشاديا لنا بضرورة أن ندرس القرآن على هذا النظم))، ([٢]) وهو ما سار عليه الشيخ النهاوندي قبل عقود، ثم أتى بعده السيد محمد باقر حجتي وزميله بالرأي والبحث الشيخ عبد الكريم الشيرازي اللذان يدعوان لهذه الدراسة وهذا النوع من التفسير الذي كتبا به تفسيرهما المسمى (التفسير الكاشف).([٣])

مع اننا وجدنا من كتب من العامة تفسير (**نظم الدرر في تناسب الايات والسور**) لابراهيم البقاعي ت ٨٨٥ هـ الذي سلك فيه العمل وفق قاعدة استاذه (أبو الفضل محمد البجائي المالكي)[٤] قال : (لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذي سبقت له السورة ، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب

---

[١]- نفحات الرحمن في تفسير القران – النهاوندي ج١ص ٢١

[٢] - مجلة كيهان فرهنكي عدد١ ص٦١

[٣]- تفسير من خمس مجلدات مشترك بين السيد محمد باقر حجتي والشيخ عبد الكريم الشيرازي قائم على إظهار معالم صيغه متوازية للسور القرآن والعلاقة بين الآيات

[٤] - محمد بن عبد الصمد الزواوي المشدالي البجائي (ت٨٥٨ هـ).

والبعد من المطلوب ، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له اللتي له التي تقتضي البلاغة شفاء العليل يدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها ، فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربك بين جميع أجزاء القرآن ، وإذا فعلته تبين لك إن شاء الله وجه النظم مفصلا بين كل آية وآية في كل سورة سورة والله الهادي) وقد استخدم هذه القاعدة في تفسيره بأقراره بذلك وينقل كثيرا عن استاذه أبو الحسن الحرالي[٥] في تفسيره او الغزالي[٦] اوالاصبهاني[٧] او التوراة او الانجيل او الحديث القدسي وغيرها الكثير من طريق غير اهل العصمة ، وننقل ما وصف به دون نقل مقطع من تفسيره وطريقته لطول الكلام لبيان مراده .

وقد وصف تفسيره من قبل اهل المعرفة بما يأتي :

(نظم الدرر في تناسب الآيات والسور هو كتاب من كتب تفسير القران الكريم، ألفه الإمام برهان الدين البقاعي (٨٠٩ هـ - ٨٨٥ هـ)، يعد الكتاب من الكتب الجليلة، وضع فيه مصنفه علما لم يسبقه إليه أحد، ذكر فيه مناسبات ترتيب السور والآيات، أطال فيه التدبر وأنعم فيه التفكر لآيات الكتاب، وقد شمل في كتابه على أحد جوانب الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، وبين الربط بين جميع أجزاء القرآن، ووجه النظم مفصلا بين كل آية وآية في كل سورة من القرآن الكريم.

أسلوب التفسير:

امتاز الكتاب في التناسب المعنوي بين السور القرآنية من جهة، وبين الآيات داخل السورة الواحدة من جهة أخرى، مع اهتمامه بمسائل علم المعاني وعنايته بإدراك الوجوه البلاغية، حتى إن كتاب نظم الدرر يعتبر دراسة تطبيقية لعلم المعاني، في القرآن الكريم،

يقول الشوكاني[٨]: وكثيراً ما يشكل عليَّ شيء في الكتاب العزيز، فأرجع إلى مطولات التفاسير، ومختصراتها، فلا أجد ما يشفي، وأرجع إلى هذا الكتاب فأجد ما يفيد في الغالب، وقد استفاد منه من جاء بعده، وعوَّلوا عليه في باب المناسبات.

ومما يؤخذ على التفسير:

١-إبعاده أحياناً في إدراك المعاني إلى أغوار بعيدة، تشتط به عن المعنى الأصلي المراد، ويوصله إلى حدِّ الغموض.

٢- وقع منه تكلف في بعض المواضع في استخراج المناسبة.

٣- النقل من التوراة والإنجيل، مما أثار عليه علماء عصره.

زمن التأليف:

---

[٥] - الحرّالي، أبو الحسن الأندلسي، علي بن أحمد بن الحَسَنِ بن إبراهيم التجيبي (؟ - ٦٣٧ هـ) .
[٦] - أَبُو حَامِدْ مُحَمّد الغَزّالِي ت، (٤٥٠ هـ).
[٧] - أبو نُعيم الأصبهاني (٣٣٦ هـ - ٤٣٠ هـ).
[٨] - محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني ت(١٧٥٩هـ)

بدأ برهان الدين البقاعي في تأليفه عام ٨٦١ هـ، وانتهى من تأليفه عام ٨٧٥ هـ، أي أنه مضى في تأليف نظم الدرر أربعة عشر سنة ، يبلغ عدد أجزاء الكتاب ثمانية أجزاء، تقع في ٥٠٧٣ صفحة.)[٩]

كما وجدنا قريب العنوان للعلامة جلال الدين السيوطي من العامة ايضا :

تناسق الدرر في تناسب السور للإمام الحافظ جلال الدين السيوطي (٨٤٩-٩١١هـ) كتاب لطيف، تناول فيه مؤلفه من علوم القرآن، ألا وهو ترتيب السور وتناسقها ومناسباتها، وإيضاح ما في ذلك من إعجاز وبيان ومقاصد وطبع أيضاً باسم: **أسرار ترتيب القرآن** . ولا يتناول الايات كما تناولوا .

أنموذج من الكتاب:

قال الإمام السيوطي:

((سورة الشمس والليل والضحى))

أقول: هذه الثلاثة حسنة التناسق جداً، لما في مطالعها من المناسبة، لما بين الشمس والليل والضحى من الملابسة، ومنها سورة الفجر، لكن فُصلت بسورة البلد لنكتة أهم، كما فصل بين الانفطار والانشقاق، وبين المسبحات؛ لأن مراعاة التناسب بالأسماء والفواتح وترتيب النزول، إنما يكون حيث لا يعارضها ما هو أقوى وآكد في المناسبة.

ثم إن سورة الشمس ظاهرة الاتصال بسورة البلد، فإنه سبحانه لما ختمها بذكر أصحاب الميمنة، وأصحاب المشأمة، أراد الفريقين في سورة الشمس على سبيل الفذلكة [أي مُجمَل ما فُصِّل وخلاصته]، فقوله [في الشمس]: {قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا} هم أصحاب الميمنة في سورة البلد، وقوله: {وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا} [في الشمس] هم أصحاب المشأمة في سورة البلد، فكانت هذه السورة فذلكة تفصيل تلك السورة، ولهذا قال الإمام: المقصود من السورة: الترغيب في الطاعات، والتحذير من المعاصي.»

وخلاصة قول الجرجاني في نظريته في النظم ت سنة ٤٧١**هـ :** (النظم هو توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلم من علاقات حيث يقول «واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت، فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت فلا تبخل بشيء منها)

وصف شرح الجرجاني نظريته في دلائل الاعجاز :

(ففي مقدمته يعرف النظم بأنه (تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض، والكلم ثلاث: اسم وفعل وحرف، وللتعليق فيما بينها طرق معلومة، لا يعدو ثلاثة أقسام: تعلق اسم باسم، تعلق اسم بفعل، تعلق حرف بهما) وبذلك كان أول ربط بين النظم وعلم النحو)[١٠]

---

[٩] - موسوعة ويكيبيديا الالكترونية

[١٠] - دلائل الإعجاز،عبد القاهر الجرجاني،مكتبة القاهرة الطبعة الأولى

وقد كُتبت رسالة ماجستير بعنوان (**التناسب ودوره في الاعجاز القرآني**) سنة ٢٠٠٩م وأطروحة دكتوراه بعنوان (**البعد الترابطي في القرآن الكريم**) سنة ٢٠١٥ م وكلاهما للدكتورة أقبال وافي نجم ضمن جامعة الكوفة كلية الفقه قسم علوم القران والحديث ، وهو جهد مبارك تثبت من خلاله الوجه الترابطي المعجز للقرآن الكريم وأن القران الكريم كتب في زمن النبي (ص) وكله توقيفي وينفي تشككيك المشككين وروايت الجمع المعروفة للازمنة المتأخرة عن حياة النبي (ص) كما جاء في نتائج بحثها .

كما كتبنا فصلا كاملا عن المنهج الترابطي عند الشيخ النهاوندي (قده) أثناء دراستنا لمنهجه الشريف في تفسيره ضمن رسالة الماجستير الموسومة (**منهجية الشيخ النهاوندي في كتابه نفحات الرحمن في تفسير القران**) سنة (٢٠٢٢م) ، حيث أمتاز بالاجتهاد الخاص والغوص في بحور السور والايات مبتدأ من الاستعاذة والبسملة والفاتحة حتى نهاية سورة الناس في اربع مجلدات حجرية في زمنه و (٦) مجلدات ورقية حالية في أكثر من (٣٩٤٨) صفحة بمجموعه مستدلا عليه بقوله : (لا شبهة في أنّ الترتيب المقرّر عند اللّه،المنزل على النبيّ بين الآيات و السور لمناسبات لطيفة،و روابط منيفة،و نكت بديعة،و حكم بليغة لا يعلم جميعها إلاّ اللّه و الراسخون في العلم،و لا يدركها إلاّ من نوّر اللّه قلبه،و خصّ بالانقياد ربّه،و وهب له فهم القرآن،و باشر روحه روح الايمان.

قال بعض العلماء: أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات و الروابط.

و قال آخر: من تأمّل في لطائف نظم السور و في بدائع ترتيبها علم أنّ القرآن كما أنّه معجز بحسب فصاحة ألفاظه و شرف معانيه،فهو أيضا معجز بسبب ترتيبه و نظم آياته.

و قال آخر: ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتّى تكون كالكلمة الواحدة متّسقة المعاني،منتظمة المباني،علم عظيم [١١].

ويقول النهاوندي : (هذا،و لعمري أنّ ما ذكرته بالنظر إلى حكمة اللّه البالغة،و عدم إمكان وضعه الشيء في غير موضعه، و ترجيحه أمرا بلا مرجّح،من أوضح الواضحات و أبين البيّنات،غنيّ عن الاستدلال و التأييد بأقوال الرجال،) ويبدي عجبه ممن يرفض هذا القول وينكره **وهو الشيخ عز الدين بن عبد السلام** فقال : (و العجب مع ذلك من بعض حيث قال : علم المناسبة علم حسن،لكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متّحد،مرتبط أوّله بآخره،فإن وقع على أسباب مختلفة،لم يقع فيه ارتباط، **و من ربط ذلك فهو متكلّف بما لا يقدر عليه إلاّ بربط ركيك يصان عن مثله حسن الحديث، فضلا عن أحسنه**،فإنّ القرآن نزل في نيّف و عشرين سنة في أحكام مختلفة شرّعت لأسباب مختلفة، **و ما كان كذلك لا يتأتّى ربط بعضه ببعض**)[١٢].

فقال النهاوندي في رده : (فإنّ مثل هذا الكلام في ترتيب كلام اللّه لا ينبغي صدوره من عاقل،فضلا عن فاضل،إذ من الواضح أنّ كلّ من ألّف كتابا مشتملا على مطالب متفرّقة و قضايا متشتّتة،يلاحظ البتّة في ترتيبها مناسبة و ارتباطا،فكيف بالحكيم المتعال!

[١١] - الاقوال في الاتقان في علوم القران ج٣ ص ٣٦٩-٣٧٠ ، ينظر نفحات الرحمن ج١ ص٥٦

[١٢]- نفحات الرحمن ج١ ص ٥٧ ينظر : ينظر، الإتقان في علوم القرآن، ٣/ ٣٧٠

فإنّ المناسبات بين القضايا المتفرّقة و الأحكام المختلفة كثيرة جدّا خصوصا في نظر من كان عالما بحقائق الأشياء و جهات الامور،نعم فهم غير العلماء الراسخين الربّانيّين قاصر عن درك جميع المناسبات اللّطيفة المنظورة للّطيف الخبير،و لذا لم يحم حوله المفسّرون،و لم يخض فيه المتبحّرون.

نعم،تكلّف قليل من علماء العامّة لبيانها،و أجالوا الفكر في هذه العرصة مع عدم كونهم من فرسانها،و أين لهم التمكّن في هذا القصر المشيد،و أنّى لهم التناوش من مكان بعيد؟حيث إنّهم ما ثقفوا بحبل اللّه المتين،و ما اتّخذوا سبيلا مع الهداة الرّاسخين.

و إنّي و إن سلكت في هذا الطريق الزليق،و غصت في هذا البحر العميق،و خضت كالذي خاضوا، و أفضت من حيث أفاضوا،غير أنّي لمعرفتي بقصوري ما غضضت على ما نلت بضرس قاطع،و ما حكمت فيما قلت على أنّه هو الحقّ الواقع،بل أبديت ما يليق بالظّنّ و الاحتمال لئلا يتوهّم في ترتيب الكتاب العزيز ما توهّمه هذا البعض من الأمر المحال. [١٣]

قال الشيخ وليّ الدين الملّوي[١٤]: قد وهم من قال:لا يطلب للآي الكريمة مناسبة،لأنّها على حسب الوقائع المفرّقة،و فصل الخطاب أنّها على حسب الوقائع تنزيلا،و على حسب الحكمة ترتيبا و تأصيلا،فالمصحف على وفق ما في اللّوح المحفوظ مرتّبة سوره كلّها و آياته بالتوقيف كما انزل جملة إلى بيت العزّة،و من المعجز البيّن أسلوبه و نظمه الباهر،و الذي ينبغي في كلّ آية أن يبحث أوّل كلّ شيء عن كونها مكمّلة لما قبلها أو مستقلّة،ثم المستقلّة ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ففي ذلك علم جمّ،و هكذا في السور،يطلب وجه اتّصالها بما قبلها و ما سبقت له.

وقد عرف الترابط لغة واصطلاحا :

١ - الترابط في اللغة والاصطلاح الترابط : الراء، والباء، والطاء : أصل واحد يدل على شَدَّ و ثبات، ومنه الرباط : ملازمة ثغر العدو كأنهم قد ربطوا هناك فثبتوا به ولازموه، ورجل رابط الجأش: أي شديد القلب و النفس [١٥] والرباط الشيء الذي يُربط به[١٦] . (والرابطة عند المنطقيين هي الشيء الدال على النسبة ، والشيء يشمل اللفظ وغيره)[١٧]. وتَرَابَطَ (تَفَاعَلَ) وهو يُعطي معنى (مُطاوعة) فاعَلَ، كباعَدْتُه فتباعَدَ وهو يُفيد التشريك بين اثنين فأكثر كل منهما فاعلاً في اللفظ مفعولاً في المعنى[١٨].

والربط : هو العملية التي بواسطتها تتصل الجُمل من أجل إقامة علاقة دلالية، أما الروابط فهي الأدوات أو الوسائل التي يتم الربط بها)[١٩] .

والترابط : هو ما ينتج من عملية الربط، وفيه يتمثل التماسك الشكلي والمضموني أو اللفظي والمعنوي معاً، ليحقق تماسكاً كلياً يجعل النص وحدة واحدة بحيث تشدّ الأجزاء بعضها بعضاً،

---

[١٣] - نفخات الرحمن ج١ ص ٥٨

[١٤] - المحقِّق وليّ الدين محمد بن أحمد الملّوي (المتوفى سنة ٧٧٤هـ) ينظر نفحات الرحمن فى تفسير القرآن - ١، صفحه ٥٧)

[١٥] - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة : ١٢٤

[١٦] -(٢) الفراهيدي، العين : مادة : (ر ب ط) ١ / ٦٤٥ ، ابن منظور، لسان العرب: مادة (ر، ب، ط) : . ١ / ٤٤٠

[١٧] - التهانوي كشاف اصطلاحات الفنون : ١٠/٢٢٦

[١٨] - احمد الحملاوي ، شذا العرف في فن الصرف : ٢٥

[١٩] - جمعان عبد الكريم، إشكالات النص، دراسة لسانية نصية : ٢٥١

والربط لا يتحقق على المستوى الشكلي (اللفظي أو التركيبي) وحده لكنه يتحقق بفعل الربط بين القضايا في الإطار الدلالي (المعنوي) ايضا.

و يُراد بالبعد الترابطي : أن ما بين أجزاء القرآن الكريم، اللفظ باللفظ ، والجملة بالجملة، والآية بالآية، والسورة بالسورة ارتباطاً على نحو من الشد والثبات لوجود أواصر (علاقات) بين تلك الأجزاء، فهي مرتبطة متناسقة على أشد ما يكون الارتباط والاتساق وليست مجزأة مفككة لا يمت أحدها إلى الآخر بصلة (أي أن ارتباط آي القرآن ببعضها بعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني مُنتظمة المباني)[٢٠]. وهذا الترابط يقوم على أسس أو علاقات تتجاوز الجانب اللفظي بين المفردات وقد ذكرالربط في القرآن الكريم ضمن هذا المجال في خمسة مواضع، هي :

أ – (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)[٢١]

. ب – (إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ)[٢٢].

ت- (وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا)[٢٣].

ث –(وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) [٢٤] .

ج – (وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِنْ رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَ اللَّهُ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ) [٢٥] .

فالآية الأولى: (اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ ... فالصبر في قبال الوظائف والمكاره، والمصابرة إدامة الصبر والثبات عليه بحيث يظهر الصبر منه علناً بين الناس، المرابطة هي تحقق الإرتباط بينهم. والربط على القلب في الآيتين الثانية والثالثة هو شد القلب واستحكامه وعدم الإضطراب والتزلزل، وهو ايضا يعطي معنى الشدّ والثبات على الأمر أيضاً، ولو جاء اللفظ: (وربطنا قلوبهم) لم يؤد معنى الشد والثبات بل حينئذ ينعكس مفهوم الآية ويكون المعنى : شددنا قلوبهم [٢٦] .

قال الطبرسي (ت) ٥٤٨هـ) : ((... وَرَبَطْنَا عَلى قُلُوبهِمِ... أي:شددنا عليها

---

[٢٠]- السيوطي الاتقان في علوم القران ص٤٧٠ ، ينظر البعد الترابطي في القرآن ص١٨

[٢١] - آل عمران: ٢٠٠

[٢٢] - الأنفال: ١١.

[٢٣] -الكهف ١٨

[٢٤] - القصص ١٠

[٢٥] - الانفال ٦٠

[٢٦] - ينظر : حسم مصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم : ٤/٣٢.

بالألطاف والخواطر المُقوّية للإيمان حتى وطّنوا أنفسهم على إظهار الحقّ والثّبات على الدِّين...) [٢٧]

فاستعمال القرآن الكريم لمُفردة الرّبط ومشتقا ها على معنى الشدّ والتوثيق والثبات. أما مرابطة الخيل ، أي أن تكون تحت الاختيار وتحت النظم منظمة مربوطة حاضرة بتحقق المرابطة فيما بينكم وبينها [٢٨].

الترابط بين الإثبات والنفي فقد اختلفت الآراء في حقيقة وجود الترابط بين أجزاء القرآن الكريم، بين مثبت لوجوده وبين نافٍ له أصلاً ، ولكلّ فريق منهم أدلة على دعواه.لم نتعرض لها أختصارا للبحث ، **ملخصها :**

أدلة المثبنين[٢٩] :

١- الترتيب التوقيفي للقرآن الكريم
٢- عناية المعصومين (ع)بالرَوابط وممارستهم العمليَة في التَفسير.
٣- استكراه عدم التلاؤم في الكلام .
٤- عناية جمع من المفسرين والباحثين بالوحدة الموضوعية للسورة .

أدلة النافين :

١- النّزول المُنجَم لآيات القرآن وسوره.
٢- تحديد المحور العام للسُّورة.
٣- إهمال الموضوعات الثانوية في السّورة.

ويقول العلامة الطباطبائي : (كل) سورة مسوقة لبيان معنى خاص ولغرض محصل لا تتم السورة إلا بتمامه) [٣٠]

وان كان معنى الترابط مستعملا فالمشتهر للمفهوم هو : **المناسبات بين الايات.**

فمما جاء عند ابن العربي[٣١] في قوله: ارتباط اي القران بعضها ببعض حتى يكون كالكلمة الواحدة متسعة المعاني منتظمة المباني علم عظيم لم يتعرض له[٣٢]...

وتعرض له بعده الفخر الرازي[٣٣] فجاء في تفسيره مفاتح الغيب قوله: اكثر لطائف القران مودعة في الترتيبات والروابط.[٣٤]

---

[٢٧] - مجمع البيان: ٦ / ٣١٧.
[٢٨] - ينظر : حسن مصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم : ٤ / ٣٢ - ٣٣
[٢٩] - البعد الترابطي في القران ص ٣٠-٣٩
[٣٠] - تفسير الميزان ج١ ص١٦
[٣١] - محيي الدين بن عربي ت ٦٣٨هـ
[٣٢] - ينظر الاتقان في علوم القران ج٢ص١٠٨
[٣٣] - فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ)
[٣٤] تفسير الرازي ج١٠ ص ١٤٠

لكن غلب عليه **مصطلح التناسب،** ولعله **لافراد وتفرد الامام البقاعي بتفسيره** في الموضوع الذي سماه: نظم الدرر في تناسب الاي والسور، **وعرفه بقوله:** علم مناسبات السور علم تعرف منه علل ترتيب اجزائه، وبين موضوعه وفائدته ومرتبته في مقدمته ومعاقده ومفاصله في تفسيره.[٣٥]

المنهجُ الترابطيُّ عند النهاوندي[٣٦] :

إن من المناهج التي تدرس حديثا ويقال عنها بأنها لا تزال نظرية وحظيت بإشارات تطبيقية من هنا وهناك وسلط بعض الأعلام والباحثين عليها الكلام لكشف اللثام عن مفهومها ونشأتها ومسوغات ظهورها كما يعبرون هو المنهج الترابطي الذي نجده مفهوما وتطبيقا عند شيخنا النهاوندي قبل أكثر من ثمانين عاما إذ طبع أول جزء من تفسيره سنه ١٣٥٧ ه على مستوى القرآن الكريم كاملا من أوله إلى آخره. وهو بذلك يعد من أوائل العلماء الذين سلطوا الضوء على الترابط الحاصل بين السور القرآنية والآيات الضمنية وبيان أسرار ارتباطها وأهداف نسخها لهذه السورة التي تساءل من جاء بعده ولم يشر إليه بالسبق بأنه لماذا قسم القرآن الكريم الى سور ولماذا السور الى آيات ودرست المناهج القريبة من هذا الطرح كالبنائي والموضوعي اللذين يركزان على وحدة موضوع وترابط أهداف واكتشاف أسرار نظم السور والآيات أو الموضوعات حتى قال حجتي*: الترابط القائم على النظم القرآني المعزز بالتأويل وخصوصا في سلم الهداية القرآنية لا يقل عن المنهج الموضوعي الذي يستدعي استقراء ما في الآيات من ترابط موضوعي وهدف موحد في سياق موضوع محدد([٣٧])، وقال الشيخ النهاوندي في مقدمته: ((واستفرغت الوسع في بيان وجه النظم بين السور والآيات))،([٣٨]) بل قال: (وبذلت الجهد في الإسفار عن وجوه بعض النكت والأسرار) ([٣٩]) إذ التزم على طول البيان في تفسيره وبعرض الوجه والهدف والغاية من أولويات الذكر والحكمة من تقديم ما تقدم وتأخير ما تأخر عنه لإيمانه بالترابط الإلهي المقصود والكشف عن أسراره وقد قال حجتي عن ذلك: ((ما دام الترتيب الذي عليه القرآن أمراً إلهياً فهو يتضمن إذن توجيهاً إرشاديا لنا بضرورة أن ندرس القرآن على هذا النظم))، ([٤٠]) وهو ما سار عليه الشيخ النهاوندي قبل عقود، ثم أتى بعده السيد محمد باقر حجتي وزميله بالرأي والبحث الشيخ عبد الكريم الشيرازي اللذان يدعوان لهذه الدراسة وهذا النوع من التفسير الذي كتبا به تفسيرهما المسمى (التفسير الكاشف).([٤١])

وعلى سبق الشيخ النهاوندي (قده) من علماء الامامية وجهوده العميقة لتطبيق المنهج الترابطي في تفسيره بين جميع السور ومقاطع الآيات سوف نعرض بعض التطبيقات لبيان ذلك وعبارة الشيخ النهاوندي شاهد على إيمانه بما يطرح لاحقا من الأعلام إذ قال لا ريب ان لآيات الكتاب العزيز وسوره ترتيبا مرضيا عند الله ثابتا في اللوح المحفوظ منزلا على النبي (صلى الله عليه واله) بوساطة جبرائيل (عليه السلام) لان حسن الترتيب والنظم مما له مدخل تام في حسن

---

[٣٥] نظم الدرر للبقاعي ١ص٦

[٣٦] - منهجية الشيخ محمد النهاوندي في كتابه نفحات الرحمن في تفسير القران ص ١٧٨-١٩٠

[٣٧] - مجلة كيهان فرهنكي عدد١/ ص٥٩

[٣٨] - نفحات الرحمن ١/ ٢١

[٣٩] - المصدؤ نفسه / ١٢

[٤٠] - مجلة كيهان فرهنكي عدد١ ص٦١

[٤١] - تفسير من خمس مجلدات مشترك بين السيد محمد باقر حجتي والشيخ عبد الكريم الشيرازي قائم على إظهار معالم صيغه متوازية للسور القرآن والعلاقة بين الآيات

الكتاب وفي القرآن المجيد الذي هو أحسن الكتب ومطالبه أحسن الحديث والعلوم المنطوية فيه اشرف العلوم وأعلاها وديانه في الفصاحة والبلاغة فوق طوق البشر لابد ان يكون ترتيبه على أحسن الوجوه ونظمه أحسن النظام ([٤٢]) بالله يخفى ما لعلم المناسبة وما يذكر فيه بين العلماء، وما أورده الشيخ النهاوندي في مسألة ترتيب القرآن ليس بترتيب النزول بل المناسبات لطيفة وقال عنه ((لا شبهة في ان الترتيب المقرر عند الله المنزل على النبي بين الآيات والسور لمناسبات لطيفة وروابط معنية ونكت بديعة وحكم بليغة لا يعلم جميعها إلا الله والراسخون في العلم ولا يدركها إلا من نور الله قلبه وخص بالانقياد ربه ووهب له فهم القرآن وباشر روحه روح الإيمان)).([٤٣])

ويرى الشيخ النهاوندي أن ذلك مما لا يحتاج الى استدلال وهو أمر بديهي وينكر على من قال بالتكلف ممن يبحث عن الترابط في الكلام الرباني ([٤٤]) وقال ((هذا ولعمري ان ما ذكرته بالنظر الى حكمة الله البالغة وعدم إمكان وضعه الشيء في غير موضعه وترجيحه أمرا بلا مرجح من أوضح الواضحات وأبين البينات غني عن الاستدلال والتأييد بأقوال الرجال))([٤٥]) بالإشارة الى خوض هذا المضمار لا يكون إلا من العلماء الراسخين الربانيين وما دونهم فهم قاصر عن درك جميع المناسبات اللطيفة المنظورة للطيف الخبير ولذا لم يعم حوله المفسرون ولم يخض فيه المتبحرون وقال الشيخ النهاوندي نعم قد تكلف قليل من علماء العامة لبيانها ولكن لم يؤيد رؤيتهم لاعتقاده بأن السبيل الأمثل لمن تمسك بالعترة الطاهرة والحبل المتين والراسخون بالعلم (سلام الله عليهم أجمعين) فشمر ساعديه لبيان ذلك والغوص في هذا البحر العميق لئلا يتوهم في ترتيب الكتاب العزيز ما توهمه هذا البعض من الأمر المحال.([٤٦])

المنهجُ الترابطيُّ بين السور القرآنية

بين الفاتحة والبقرة:

بداية وجه النظم بين سورة البقرة والتي سبقتها وهي سورة الفاتحة إذ قال: (إن في تلك السورة سؤال الهداية) وهي سورة الفاتحة وفي هذه السورة إجابته بقوله: (ذلك) القرآن المجيد هو (الكتاب) المعهود الذي بشر الأنبياء به اجمعهم ووعدك الله يا محمد أنه منزله عليك.

(لا ريب فيه) ولا مجال لشك يعتريه، أنه منزل من الله تعالى لظهور آيات الصدق فيه، فالشاك فيه كالشاك في ضوء الشمس اذا كانت في رابعة النهار ، ويكون الشك في قلبه لا في الكتاب.

ثم وصف الله الكتاب بأنه (هدى) ودليل الى الرشاد وبيان من الضلالة (للمتقين) وهم المحترزون عن العقائد الفاسدة والأعمال القبيحة الطالبون لمدارج التقوى وعن الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) أنه قال: (هدى) بيان وشفاء للمتقين من شيعة محمد وعلي (عليهما وآلهما السلام) أنهم اتقوا أنواع الكفر فتركوها ، واتقوا الذنوب الموبقات فرفضوها واتقوا إظهار

---

[٤٢] - نفحات الرحمن ١/ ٥٤
[٤٣] - المصدر نفسه / ٥٦
[٤٤] - وهو الشيخ عز الدين بن عبد السلام، ينظر، الإتقان في علوم القرآن، ٣/ ٣٧٠
[٤٥] - نفحات الرحمن ١/ ٥٦
[٤٦] - ينظر ، نفحات الرحمن ١/ ٥٧

أسرار رسول الله وأسرار أزكياء عباده الأوصياء بعد محمد فكتموها واتقوا ستر العلوم عن أهلها المستحقين لها وفيهم نشروها .

وبعد بيان تمام المقطع المأخوذ من السورة (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون). ([٤٧])

يعقب الشيخ النهاوندي: (والظاهر أن المراد أنهم يتلونه لغيرهم حتى يتعلموا ، وقد جمعت الآيتان جميع الوظائف القلبية والجوارحية والمالية ، فإن كلها لوازم التقوى). ([٤٨])

إرداف البقرة بآل عمران :

بعد أن بين الشيخ النهاوندي ما يراه من النظم بين البقرة والفاتحة السابقة لها ، أردفها بما يراه من نظم بين البقرة وآل عمران التي بعدها إذ ختمت البقرة بقوله تعالى: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَآ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَآ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ). ([٤٩])

إذ ابتدأت ال عمران بقوله تعالى: (الم (١) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) ([٥٠]) فقال: ((ثم إنه تعالى لما ختم السورة المباركة بالدعاء بالنصرة على الكافرين بالسيف والحجة وكان ربعها أو أزيد تقريباً في المحاجة مع اليهود ، اقتضى حسن النظم أردافها بسورة ال عمران ، المتضمنة لأجابه ذلك الدعاء من جهة دلالتها على غلبه النبي والمسلمين ،بنصرته تعالى ، على النصارى بالحجة والمباهلة ، وبشارة المؤمنين بغلبتهم على الكفار ونصرته لهم بقوله : (قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُون) ([٥١]) واشتمالها على خذلان الكفار في غزوة أحد ، وكونها الى بضعٍ وثمانين آية في المحاجة مع النصارى)). ([٥٢])

إرداف آل عمران بالنساء :

بعد أن بين الشيخ النهاوندي وجه النظم بين سورة البقرة وآل عمران وقد فرغ من تفسير الأخرى بيَّن وجه إردافها بالنساء، فقال: (ثم أردفت السورتان - المتضمنتان لإثبات التوحيد والرسالة ومحاجة اليهود والنصارى وبيان مهمات حقوق الله ، كوجوب الصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد وأمثال ذلك - بسورة النساء المشتملة لبيان مهمات حقوق الناس كاليتامى والأزواج والسفهاء والوراث وغير ذلك ...).

وأضاف ايضاً الوجه لبداية النساء بالأمر بالتقوى فقال: ثم لما ختم سورة ال عمران بأية فيها الأمر بالتقوى معللاً برجاء الفلاح في المعاد - ولذا خاطب المؤمنين بالمبدأ و المعاد لتوقف هذا الرجاء على الإيمان بهما - أكد ذلك الأمر بالتقوى ثانياً معللاً بمعرفة المبدأ و الخوف من سعة

---

[٤٧]- سورة البقرة آية ٣
[٤٨] - ينظر، نفحات الرحمن ١/ ١٩٣، ١٩٥
[٤٩]- سورة البقرة آية ٢٨٦
[٥٠] - سورة ال عمران آية ١,٢
[٥١] - سورة ال عمران آية ١٢
[٥٢] - نفحات الرحمن ١/ ٥٧١

قدرة الله ونفوذ إرادته ، ولذا خاطب جميع الناس بقوله : (يَا ايها النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ) ([٥٣]) إذ ان ال عمران ختمت بالآية الكريمة : (يَا ايها الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) ([٥٤]) فجاءت بعدها سورة النساء بقوله تعالى : (بسم الله الرحمن يَا ايها النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا). ([٥٥])

في نظم المائدة بعد النساء :

إن للوجوه التي يذكرها الشيخ النهاوندي أثرا في تشكيل صورة مترابطة ومتكاملة من الخطوات التي تركز المعتقدات والأحكام والإرشادات في المتلقي نفسه والسامع وفي سورة النساء قد بدأت ببيان كمال قدرته بقوله (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) ([٥٦]) وختمها ببيان كمال علمه بقوله: (وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ). ([٥٧]) وقال: ((هذان الوصفان مرجع جميع صفاته تعالى ومثبت إلوهيته وربوبيته الموجبتين لكمال طاعته والانقياد له على العبد ولذا ردفها بسورة المائدة المبدأة فيها بالأمر بطاعة جميع أحكامه التي هي عقود الله وعهوده الى عباده مضافا الى تصدر السورتين بالخطاب الشفهي مع تقدم عامة وهو قوله (يَا ايها النَّاسُ) على خاصة وهو قوله (يَا ايها الَّذِينَ آمَنُوا) واشتمال سورتي البقرة وال عمران على عمد أحكام العبادات وسورة النساء على مهمات حقوق الناس وسورة المائدة على كثير من أحكام الأطعمة والاشربة واشتمال السور الثلاثة السابقة على محاجة أهل الكتاب وهذه السورة على نتيجة المُحاجة من إيمان بعضهم كالنجاشي وفي السور السابقة بيان الدين وفي هذه السورة البشارة بتكميله وفي النساء بيان حكم الوصية وفي هذه السورة بيان كيفية إثباتها الى غير ذلك من الوجوه التي اقتضى حسن النظم ذكر المائدة بعد النساء)). ([٥٨])

مجيء الأنعام بعد المائدة:

قال تعالى (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ). ([٥٩])

قال الشيخ النهاوندي قبل الابتداء بتفسير سورة الأنعام كعادته في بدايات السور: (لما تمت السور التي كان أهم المقاصد فيهن محاجة اليهود والنصارى الذين هم اعلم الملل الباطلة وإبطال شبهاتهم وعقائدهم الفاسدة وبيان ما ينتظم به أمور المعاد والمعاش من أحكام العبادات والسياسات وحقوق الناس والمحللات والمحرمات من الأطعمة والاشربة والمناكح والمنة على المسلمين بتكميل الدين وإتمام النعمة بنصب الحجة على العالمين ثم ختمت المائدة في بيان كمال قدرته وعظمه سلطنته انتظمت سورة الأنعام المبتدأ فيها بالحمد على نعمائه وتأكيد ما في آخر السورة السابقة بإعادة بيان كمال قدرته وشرح ملكيته بالملكية الاشراقية الايجابية المشتملة على

---

[٥٣] - ينظر ، نفحات الرحمن ٢/ ١٦٥
[٥٤] - سورة ال عمران آية ٢٠٠
[٥٥] - سورة النساء آية ١
[٥٦] - سورة النساء آية ١
[٥٧] - سورة النساء آية ١٧٦
[٥٨] - نفحات الرحمن ٢/ ٣٢٥
[٥٩] - سورة الأنعام آية ١

المشركين الذين هم أجهل الملل. وإبطال بدعهم وبيان بعض أحكام الأطعمة وغير ذلك من الوجوه الموجبة لحسن النظم). ([٦٠])

الأنعام قبل الأعراف :

قال تعالى (المص* كتاب أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ). ([٦١])

وهي بداية سورة الأعراف التي جاءت بعد ختم سورة الأنعام بقوله تعالى (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ). ([٦٢])

فقال الشيخ النهاوندي ((لما ختم الله سورة الأنعام المشتملة على رد المشركين وإبطال بدعهم بالوعيد بالعقاب السريع ووعد المؤمنين بسعة رحمته وغفرانه أردفها بسورة الأعراف المتضمنة للرد على المشركين وتهديدهم بالعقوبات النازلة في الدنيا على الأمم الذين كانوا مثلهم في الكفر والطغيان ومعارضة الأنبياء العظام وتوعيدهم بالعقوبات الشديدة في الآخرة ولمدح المؤمنين بالنصرة والإكرام في الدنيا والفوز بالنعم الدائمة في الآخرة)). ([٦٣])

إرداف الأعراف بالأنفال :

بعدما خُتمت سورة الأعراف بقوله تعالى (وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ (*) إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ). ([٦٤])

جاءت سورة الأنفال التي وجهت النفوس لله تعالى بأول آياتها فقال تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ ۖ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ). ([٦٥])

فقال الشيخ النهاوندي : ((لما خُتم سورة الأعراف التي عمدة مطالبها إبطال الشرك وتهديد أهله بالعذاب وبيان غاية عجز الأصنام وأمر النبي (صلى الله عليه واله) بالإعلان بوثوقه بالله تعالى في دفع كيدهم والعفو عمن ظلمه والإعراض عن الجاهلين ومداراة الناس والاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان .

ومدح المتقين بتذكر الله عند ذلك أردفت بسورة الأنفال التي أهم مطالبها إثبات صحة نبوة النبي (صلى الله عليه واله) وإيجاب طاعته وملازمة التقوى وبيان كيفية نزغ الشيطان وإيجاب رفع التنازع بالصلح وغير ذلك من الأمور المرتبطة بما في السور السابقة)). ([٦٦])

---

[٦٠] - نفحات الرحمن ٢/ ٤٦١
[٦١] - سورة الأعراف آية ١- ٢
[٦٢] - سورة الأنعام آية ١٦٥
[٦٣] - نفحات الرحمن ٢/ ٥٧٣
[٦٤] - سورة الأعراف آية ٢٠٥- ٢٠٦
[٦٥] - سورة الأنفال آية ١

مما يجدر الإشارة إليه هو تكرار لفظ الترابط والمرتبطة ووجه النظم وغيرها عند الشيخ النهاوندي في بيانه أول السور.

إرداف الأنبياء بالحج:

قال تعالى : (يَا ايها النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ). ([٦٧])

وهي أول سورة الحج التي تبعت سورة الأنبياء المختومة بقوله تعالى: (قال ربي أحكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون). ([٦٨])

فقال الشيخ النهاوندي: ((لما ختم الله سورة الأنبياء المبتدئة بتهديد المشركين باقتراب القيامة وذمهم على غفلتهم عنها وإعراضهم عن آيات الله وجدالهم في رسالة رسوله ونسبه معجزاته الى السحر المختتمة بأمر نبيه بدعوة الناس الى التوحيد وتهديدهم على الشرك وحكاية نبيه (صلى الله عليه واله) الى ربه من تمردهم أردف بسورة الحج المبتدئة بتحذير الناس عن الشرك وتهديد المشركين بأهوال القيامة وذمهم على مجادلة الرسول واستدلاله تعالى على المعاد المختتمة بتسلية الرسول في مجادلة قومه وأمر المؤمنين بجهادهم وتوجههم الى عبادة الله والتوكل عليه ووعدهم بالنصر))([٦٩]).

وهكذا نجد بيان وجه النظم والارتباط بين كل سور القرآن الكريم من الفاتحة الى الناس إذ يذكر ما أكدته السورة المباركة في مطاوي آياتها الذي استدعى ان تلحقه بما بعدها دون غيرها من السور للترابط وإكمال المطالب بين السابق واللاحق وهو ما ركز عليه الشيخ النهاوندي أيضا بين المقطع المختار للتفسير من السورة كآية واحدة أو اكثر وما تقدمه من آيات كما نرى في تطبيقات المطلب اللاحق.

المنهجُ الترابطيُّ بين الآياتِ القرآنيةِ

إن للترابط بين الآيات القرآنية نصيباً وافراً في بيان الشيخ النهاوندي إذ يقسم السورة الى مقاطع ويشير على ما دعى الى إرداف الآيات السابقة باللاحقة.

سورة يس ونموذج من الترابط :

قال تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم (يس (١) وَالْقُرْءَانِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٣) عَلَى صِرَٰط مُّسْتَقِيم (٤) تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٥) لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ).([٧٠])

نرى الشيخ النهاوندي يقتطع هذا المقدار من الآيات ليصوغ معناها المترابط قبل إلحاقه بما يراه من آيات متناسقة ومترابطة مع السابق واللاحق لها فقال الحروف المقطعة وأعطى له عدة

---

[٦٦] - نفحات الرحمن ٣/ ٥٥
[٦٧] - سورة الحج آية ١-٢
[٦٨] - سورة الأنبياء آية ١١٢
[٦٩] - نفحات الرحمن ٣٢١/٤
[٧٠] - سورة يس آية ١-٦

معاني وقال: (هو اسم من أسماء النبي (صلى الله عليه واله) و ثم عظم الله تعالى القرآن بالقسم به والمقسم عليه وهو الخاتم (صلى الله عليه واله) إنك يا محمد من المرسلين وإنك ثابت على صراط مستقيم وهذا الحلف لأمر عظيم بعدد تعدد ذكر الاستدلال وبذلك قد جمع الله تعالى بين البرهان والحلف وهو تنزيل الإله العزيز، والقهر لكل شيء، الرحيم بمن أقر بالجميع ومع ذلك إلا لتنذر وتخوف القوم الذين أنت فيهم كما انذر آبائهم). ([٧١])

وأردف بعد ذلك قوله تعالى: (لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون). ([٧٢]) إذ قال: (ثم بين سبحانه لجاج القوم وامتناعهم عن الإيمان بقوله: لقد حق وثبت ووجب القول والوعد الذي سبق منا عند تهديد إبليس إذ قلنا (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ) ([٧٣]) أو قولنا: (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ). ([٧٤])

على أكثرهم لوضوح أنهم أهل الشقاوة والشقاق فهم لخبث ذاتهم وانطباع قلوبهم (لا يؤمنون) بكتابك وإنذارك أبدا ولا يطيعونك في شيء أصلاً.

وهُمَّ شبه أخلاقهم الرذيلة بالاغلال التي تمنع انحناء الرأس وتطأطئه وتصل من الصدور الى الأذقان وبذلك فإن كفار مكة لكثرة تكبرهم وشدة حسدهم على النبي (صلى الله عليه واله) أبو تسليما وانقيادا لها وجاءت بعدها أنعمائهم على رؤية المعجزات وقد حجبوا بالسد من وجوههم ومن خلفهم فاغشيناهم بعدها فهم لا يبصرون.([٧٥])

ثم تلتها الآيات التي تنص على عدم تأثير الدعوة وإنذارهم بعد بيان شده امتناعهم عن الانقياد للنبي محمد (صلى الله عليه واله) وعدم سلوكهم طريق الحق وعدم رؤيتهم معجزاته بقوله تعالى: (وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (*) إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ). ([٧٦])

ثم بين اختصاص صوت الإنذار والدعوة الى الإيمان بأصحاب القلوب الصافية والآذان السامعة([٧٧]).

وهكذا حتى يختار المقطع من آية واحدة كما بعد ذلك فقال: ثم إنه تعالى بعد أمر النبي (صلى الله عليه واله) ببشارة المؤمنين بالثواب اخبر بمجيء الآخرة التي هي دار المغفرة والثواب بقوله تعالى (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ). ([٧٨])

---

[٧١] - ينظر نفحات الرحمن ٥/٢٥١- ٢٥٣
[٧٢] - ينظر نفحات الرحمن ٥/ ٢٥٢ ، ٢٥٤
[٧٣] - سورة ص آية ٨٥
[٧٤] - سورة البقرة آية ١١٣
[٧٥] - ينظر نفحات الرحمن ٥/ ٢٥٢ ، ٢٥٤
[٧٦] - سورة يس آية ١٠- ١١
[٧٧] -ينظر نفحات الرحمن ٥/ ٢٥٤ ، ٢٥٥
[٧٨] - سورة يس آية ١٢

وعلى هذه الشاكلة من أول التفسير الى آخره يتم تقطيع السور ضمن أعداد متناسقة ومترابطة من الآيات لبيان وجه النظم بينها وربطها بما قبلها وما بعدها وفق اختيار المؤلف ووجهة نظره بأسرار النظم والترابط فيما بين السور أو الآيات. ([٧٩])

سورة الإسراء ونموذج من الترابط :

قال تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم (سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُو السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)([٨٠]).

فقد شرع الشيخ النهاوندي بتفسير الآية المباركة وبيان لطف الله تعالى وبفعل نبيه بعد تنزيه ذاته المقدسة أسرى بعبده محمد (صلى الله عليه واله) وعرج به ليلا من المسجد الحرام هو مكة المعظم الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله بالثمار والأزهار وهبوط الملائكة فيه لنريه بعضا من آياتنا العظام التي لم نره غيره من الأنبياء انه هو السميع لأقواله البصير بنورانيته ومسابحته لعالم الأنوار وبأحواله وأخلاقه وأعماله وقال بعد ذكر الإسراء والمعراج مفصلا رابطاً الآيات بعضها ببعض في بيان قوله تعالى (وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا)([٨١])، إذ بعد بيان إكرام وهو لنبيه بإسرائه الى السماوات بين إكرام موسى بإسرائه الى الطور وإيتائه التوراة بقوله واتينا موسى الكتاب المعهود وهو التوراة بعد إسرائه الى الطور وكان من فضائل ذلك الكتاب أن قررناه وجعلناه هدى ورشاد لبني إسرائيل الى كل حق وخير لاحتوائه للعلوم الكثيرة والأحكام الوفيرة وكان أهم ما فيه أنا كتبنا ألا تتخذوا يا بني إسرائيل لأنفسكم من دوني ومما سواي وكيلا وإلهاً تفوضون إليه الأمور وترجعون إليه الحوائج ذرية من حملنا مع نوح في السفينة يوم الطوفان وأنعمنا عليه بالنجاة حين هلاك جميع ما في الأرض من الحيوان والنبات فان نجاة آبائكم من أعظم النعماء عليكم لأنه لو لم يكونوا لم تكونوا فيجب ان يقابلوه بالشكر كما شكروا نوحاً أنه كان عبداً شكوراً مبالغاً في أداء حق النعمة ومجداً الى القيام بوظائف العبودية ثم أردف ثلاث آيات كجواب لما قدم من إيتاء الكتاب لهداية بني إسرائيل في قوله تعالى : (وَقَضَيْنَآ إِلَىَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنّ فِي الأَرْضِ مَرّتَيْنِ وَلَتَعْلُنّ عُلُوّاً كَبِيراً(٤) فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مّفْعُولاً (٥) ثُمّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً)([٨٢]) .

إذ قال: إن الله تعالى بعد بيان إيتاء التوراة لهداية بني إسرائيل بين عدم هدايتهم بها بقوله وقضينا وحكمنا حكما مبتوتاً مرسلاً الى بني إسرائيل بكتبه في ذلك الكتاب المنزل على موسى أنكم يا بني إسرائيل والله لتفسدن بالكفر وقتل الأنبياء في الأرض المقدسة والبيت المقدس وحواليه مرتين:

أولهما: مخالفتهم التوراة وقتل أشعيا وحبس أرميا ولتعلن وتستكبرن عن طاعة الله علواً واستكباراً كبيراً وطغياناً عظيماً فإذا جاء وعد العقوبة على المرة السابقة من الافسادتين وحان

---

[٧٩] - ينظر نفحات الرحمن ٢٥٧ ويمكن متابعة أي سورة من التفسير الجليل للنظر للمقادير المتقطعة للآيات وآلية بيان ترابطها.
[٨٠] - ينظر نفحات الرحمن ٥/ ٢٥٢ ، ٢٥٤
[٨١] - سورة الإسراء آية ٢-٣
[٨٢] - سورة الإسراء آية ٤ -٦

حين المجازات على أولهما بعثنا وسلطنا عليكم لعقوبتكم على معاصيكم عباداً وناساً مخلوقين لنا حال كونهم أولي بأس وذي بطش شديد فقتلوكم ونهبوا أموالكم فلما لم يجدوا من تظاهر منكم وما ظهر من أموالكم فجاسوا فتشوا خلال الديار وفرج البيوت وما بين جدرانها ليقتلوا من استغفر منكم وينهبوا ما سترتم من أموالكم وكان وعد تعذيبكم وعداً لا بد من كونه مفعولاً ومنجزاً غير مخلف ثم رددناه وعددنا لكم الكرة والدولة والغلابة عليهم بعد كونكم مقهورين مغلوبين تحت سلطتهم وسطوتهم وأمددناكم وقويناكم بأموال كثيرة بعد ما نهبت أموالكم وبنين وأولاد بعد ما سبوا وجعلناكم أكثر نفيراً وعددا مما كنتم أو من أعدائكم.

وأورد في طيات تفسيره أن المبعوثين جالوت وجنوده أو بخت نصر المجوسي ملك بابل إذ فعل بهم ما فعل الى أن ضجوا وتابوا من عصيانهم وإفسادهم وعتوهم ومن أنقذهم وردهم الى ديارهم كورش الهمداني الذي غزى بابل فظهر عليهم وسكن ديارهم ثم رد بني إسرائيل الى أرضهم فردهم كورش الى بيت المقدس وقتل بخت نصر وخرج بنو إسرائيل من الأسر ورجع عليهم الملك وصاروا الى أحسن مما كانوا عليه فجاء بعدها بالآية رقم (٧) قال تعالى : (إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا).([٨٣])

لتنبيههم بعد حكاية شدة بلائهم بعد عصيانهم وحُسن حالهم بعد توبتهم وإنابتهم بأن نفع الأيمان والطاعة عائد إليهم ، وضرر الكفر والعصيان وارد عليهم لا يتعداهم بقوله : (إن أحسنتم) يا بني إسرائيل في العقائد والأعمال فقد تبين لكم أنكم أحسنتم وحصلتم الخير والثواب الدنيوي و الأخروي لأنفسكم واستفتحتم أبواب البركات على ذواتكم وأن أسأتم بالكفر والطغيان فلها ضررها من الذل والشدة في الدنيا والعذاب في الآخرة فإذا جاء وعد العقوبة على المرة الآخرة من طغيانكم كقتل يحيى وزكريا والاجتماع لقتل عيسى بعثنا عليكم جميعاً آخر ليسوءوا ويغيروا وجوهكم من شدة الحزن والكآبة فتسود أو تتغير وليدخلوا المسجد الأقصى ويخربوه كما ان أعدائكم دخلوه وخربوه أول مره عقوبة على طغيانكم الأول وليتبروا ما علو واستولوا عليه من النفوس والأموال تتبيرا وإهلاكا فظيعاً لا يوصف ([٨٤])

وهكذا نجد النهاوندي بيَّن الكتلة المعنوية المترابطة بين قطع الآية الواحدة أو الاثنين أو الثلاث أو أكثر بما يجده من ترابط ووحدة موضوع بين الآيات ويبينها بداية كل مقطع أقتطعه فضلاً عن البيان الجزئي بين الجمل لتكتمل السورة المتوخاة من نظم السورة في آيات مباركة ([٨٥]).

نتائج تُذكر للتناسب والترابط والنظم بين سور وآيات القران الكريم :

١- أن في نظري القاصر لمن أعظم وجوه اعجاز القرآن الكريم هو الترابط والنظم الذي يعطي صورة القطعة الواحدة المختزنة لكل ما اودع الله تعالى فيها من أسرار نظام الحياة المتكامل لكمال الانسان والحياة وتحدياته من جهة ومن الجزئيات والتفاصيل وطول فترة نزوله وتنوع

---

[٨٣]- سورة الإسراء آية ٧

[٨٤] - نفحات الرحمن ٤/ ٥- ٢٦

[٨٥] - يمكن ذلك بمراجعة سريعة للسور ونظم الآيات في كل الأجزاء وعلى طول الأقسام المتقطعة للاطلاع على ذلك.

كتابه والاختلاف في جمعه وتدوينه التي تجعل من يقول بأستحالة الربط فيما بين سوره ومقاصد آياته من جهة أخرى [٨٦] .

٢ – أن النص القرآني يشكّل كلاً متكاملاً لا تنفصل أجزاؤه بعضها عن بعض

فهي تأتلف لفظياً وتركيبياً وتلتحم موضوعياً ولا يمكن فهم آيات القرآن الكريم مجزأةً بعضها عن بعض.

٣ – ان الوقوف عند الألفاظ او التراكيب قد يفتح مجالاً لفهم جانب من جوانب النص القرآني لكنه لا يعطي فهماً واضحاً وشاملاً للآيات بل قد يكون عاملاً مساعداً على تفكيك النص وتثبيت اجزائه إن اقتصرت الدراسة على ذلك فقط، فالالفاظ والتراكيب تشكل البنية السطحية للنص التي تأتي مرتبة على أساس المعاني.

٤ – ان العلاقات المعنوية التي تختزنها ألفاظ القرآن الكريم وتراكيبه وأساليبه الفنية تمثل البناء العمودي للنص، فهذه العلاقات لا تظهر واضحة انما تُدرك من خلال سياق النص وارتباط القضايا بعضها ببعض ارتباطاً منطقياً سليماً بشكل تجعل مقاطعه متلاحمة منسجمة لا انفصام بينها وهي الأساس في فهم المعنى العام للنص وبدورها تتعاضد مع الأسس اللفظية والتركيبية من اجل فهم صحيح شامل للنص القرآني.

٥ – للعناصر الفنية أثر كبير في فهم النص القرآني فهي لا تنفصل عن الأسس اللفظية والعلاقات المعنوية وتأتي مكملة لها لإيصال المعنى وإحداث الأثر النفسي في المتلقي الذي يحركه ويخلق فيه الاستعداد لتلقي التأثير حيث يتداخل العنصر الفني مع الهدف الديني التوجيهي في اسلوب راقٍ ومعبرٍ يحقق الغرض من الخطاب القرآني، فيكون للإيقاع أثره في النفس، وللقصة اسلوبها في تحقيق الهدف، وللصورة أهميتها في تقريب المعنى وتأكيده من خلال التنبيهات والاستعارات والمجازات تحقيقاً للغرض الكلي.

٦ – ان السورة القرآنية – طويلة كانت أم قصيرة – تنتظم وفق نظام حكم متكامل لا تنفصم اجزاؤه بعضها عن بعض ولا يمكن فهم آياتها واجزائها الا من خلال الكل والعكس صحيح بما يكشف عن نظام خاص في ترتيبها جعل الآيات المتفرقة في النزول زماناً ومكاناً متآلفة فيما بينها في ترتيب المصحف بشكل لا يمكن ان يكون ترتيبه اعتباطياً أو عشوائياً بل قام على أساسٍ منطقي أو ترتبط مقدمة السورة بخاتمتها على أسس قويمة وتتعاضد مقاطعها بشكلٍ يثير الدهشة.

---

[٨٦]- الباحث .

٧ – ان الترابط القائم بين سور القرآن كافة يثبت بأن هذا الترتيب الذي رُتب به المصحف ترتيباً توقيفياً وليس لأحد فيه رأي ولا اجتهاد ويؤكد ما جاء من روايات في صحة جمع النبي (ص) للقرآن وترتيبه في عهده ولم يترك ذلك لغيره بما يفند روايات الجمع المتأخر بعد وفاته، على أن الروابط بين السور وإن اتخذت أشكالاً عدَّة كالاتحاد والتلازم والتشابه او التعلق بشكلٍ ما، فما بين السور من وحدة موضوعية تجمع بينها على مستوى الآيات أمر واضح جداً وإن بدا – ظاهرياً – أن لا ارتباط بينها، وان كل سورة مستقلة عن الأخرى في مضامينها وموضوعا ها لكنها تشترك وتترابط ضمن نطاق القرآن الكريم كونه كلاً متكاملاً فكأنه كالآية الواحدة بل كالكلمة الواحدة يشهد بعضه على بعض ويصدق بعضه ببعضاً.

٨ – ان التدبر في القرآن الكريم و محاولة فهم أسراره ومعرفة مقاصده تتطلب دراسة شاملة لكل الأبعاد إذ أن الدراسات السابقة بل وأكثر المؤلفات في تفسير القرآن الكريم الا ما ندر مما اشرنا اليه اعتمدت على الاسلوب التجزيئي أو الوقوف عند الألفاظ والجمل والعبارات حتى ليجد القارئ نفسه قد تاه في مباحث لغوية وبلاغية وجوانب أخرى دون أن يصل الى مقاصد النص وأهدافه، فلا بد أن تتجه الدراسات المعاصرة الى الإفادة من كل ما سبق من دراسات وتوظيفها للوصول الى فهم عميق وتفسير صحيح للقرآن الكريم بالنظر اليه كونه نصاً واحداً متكاملاً دون تجزئة لآياته وسوره.([٨٧])

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

[٨٧] - البعد الترابطي في القران ص٢٩٣